

# الشيخ محمد بن عبد الوهاب يحاربهم.. فكيف ينسب إلى معتقداتهم؟

د عبد السلام بن برجس العبد الكريم

■ أطروحات مرئية ومسموعة ومقروعة تتناول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -

بإتهامات كبيرة. أنها تحاول جاهدة إلقاء التبعة في نشوء التطرف والغلو والعنف عليها.

لم يكن هذا بجديد في وسائل النيل من هذه الدعوة والقصد فيها، فقد سبقت جنود حربية وفكرية ومذهبية للقضاء عليها، فتكسرت سهامهم على أسوارها المنيع، وبقيت ليرى العالم أنها دعوة صدق تضي بجاعات أهلها، وتواكب العصر الذي تعيش فيه. ولا أراني بحاجة إلى سرد

نصوص كتبها المنصفون في الثناء على الدعوة باعتباريات متعددة من أهمها: يدها الكبرى على الأمة الإسلامية في انقاذها من التخلف المتمثل في الشرك بالله والاعتقاد في

الجمادات والقبور، وفتحها باب الاجتهاد والتحقيق في المسائل الشرعية، والوفاء بجاعات المجتمعات الإسلامية في النوازل المعاصرة في سائر أبواب الفقه، فتلك نصوص

سطرها علماء وأدباء ومؤرخون من المسلمين وغير المسلمين، اشتهر أمرها، وذاع صيتها، ككتاب الجبرتي في «تاريخ مصر»، وليس الجبرتي

وهابيا ولا نجديا ولا حنبليا، وإنما كان حنفيا مصرية، وكتابة طه حسين في مجلة «الهلل المصرية» عدد مارس

سنة ١٩٣٣ بعنوان «الحياة الأدبية في جزيرة العرب» ومحمد كرد علي في مجلة «المقتطف» سنة ١٩٠١ بعنوان «أصل الوهابية»، وغيرهم كثير. لكني

اجدني بحاجة ماسة إلى مخاطبة بعض أبناء هذا البلد الذي رعى هذه الدعوة وقام على أساسها، ممن كتبت أقلامهم في صحفنا اليومية مقالات تضم صوتها إلى أعداء هذه الدعوة

سواء من الفرق الضالة في الإسلام، أو من الصهيونية المتميزة غيظاً على الوجود الصحيح للإسلام والوجه الحقيقي له، فتلك الكتابات فيها خبط وخلط عجيب، تنم عن مكر أو جهل يشقى به أصحابها:

فالذين يصرخون بأن كتب محمد بن عبد الوهاب وتلامذته هي منشأ هذه الأفكار العنيفة، لا يخفى عليهم أن اعتماد الجماعات الإسلامية المنحرفة في باب التكفير والجهاد على كلام عالم لا يعني أن هذا العالم

يوافقهم، كما أنهم عندما يحتجون على ضلالهم بكتاب الله عز وجل لا يعني ذلك أن كتاب الله يؤيدهم. وبيان ذلك أن هذه الجماعات انتقت من كلام الشيخ وأبنائه وتلامذته ما يظنون أنه يوافقهم، وعندما نورد عليهم كلام الشيخ ومدرسته فيما ينقض ما فهموه يردونه ولا يقبلونه. وعندي مثالان تاريخيان يفصحان عن ذلك:

أ - قدم فارسيان من «إيران» إلى بلد «الأحساء فأقاما بها وفي سنة ١٢٦٤ هـ اعتزلا الجمعة والجماعة، وكفروا المسلمين في «الأحساء» وحجتهم: أن الشيخ ابن فيروز كافر، وأهل الأحساء يخالفونه ولا يكفرونه، فهم كفار. فرفع أمرهم إلى قاضي

الأحساء الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، قال الشيخ: «فأحضرتهم وتهددتهم، وأغلظت لهم القول. فزعوا أولا أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإن رسائله

عندهم» اه فانظر - رعاك الله - إلى هذين الدخيلين على الدعوة وأهلها، لقد نسبوا باطلهم إلى دعوة الشيخ مستغلين الخلاف بينه وبين ابن فيروز. لكن ما هو موقف علماء

الدعوة من هذه الجناية، استمع إلى الشيخ عبد اللطيف وهو يواصل الحديث عن المذكورين، قال: «فكشفت شبهتهم، وادحضت حجة ضاللتهم بما حضرني في المجلس. وأخبرتهم ببراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يكفر إلا بما اجمع المسلمون على تكفير فاعله من

الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسوله، أو بنبي منها، بعد قيام الحجة، وبلغوا المعتبر» اه هذا نص قاطع إذا وقف عليه من يرجو الله واليوم الآخر علم جازما أن ابن عبد الوهاب ومدرسته براء مما يفترى المفترون، وأن تعلق أهل الغلو بكلمات

للشيخ دون فهمها الفهم الصحيح لخدمة آرائهم، وتأييد باطلهم جناية وتهمة قديمتان، وجد علماء الدعوة أذى وبلاء منهما، يقول الشيخ عبد اللطيف مواصلا حديثه عن هذه

البلية وعن هذا الجسم الغريب على الدعوة وأهلها: «وقد أظهر الفارسيان المذكوران التوبة والندم، وزعما أن الحق ظهر لهما. ثم لحقا بالساحل -

فكشفت شبهتهم، وادحضت حجة ضاللتهم بما حضرني في المجلس. وأخبرتهم ببراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يكفر إلا بما اجمع المسلمون على تكفير فاعله من

الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسوله، أو بنبي منها، بعد قيام الحجة، وبلغوا المعتبر» اه هذا نص قاطع إذا وقف عليه من يرجو الله واليوم الآخر علم جازما أن ابن عبد الوهاب ومدرسته براء مما يفترى المفترون، وأن تعلق أهل الغلو بكلمات

للشيخ دون فهمها الفهم الصحيح لخدمة آرائهم، وتأييد باطلهم جناية وتهمة قديمتان، وجد علماء الدعوة أذى وبلاء منهما، يقول الشيخ عبد اللطيف مواصلا حديثه عن هذه

البلية وعن هذا الجسم الغريب على الدعوة وأهلها: «وقد أظهر الفارسيان المذكوران التوبة والندم، وزعما أن الحق ظهر لهما. ثم لحقا بالساحل -

فكشفت شبهتهم، وادحضت حجة ضاللتهم بما حضرني في المجلس. وأخبرتهم ببراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يكفر إلا بما اجمع المسلمون على تكفير فاعله من

الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسوله، أو بنبي منها، بعد قيام الحجة، وبلغوا المعتبر» اه هذا نص قاطع إذا وقف عليه من يرجو الله واليوم الآخر علم جازما أن ابن عبد الوهاب ومدرسته براء مما يفترى المفترون، وأن تعلق أهل الغلو بكلمات

للشيخ دون فهمها الفهم الصحيح لخدمة آرائهم، وتأييد باطلهم جناية وتهمة قديمتان، وجد علماء الدعوة أذى وبلاء منهما، يقول الشيخ عبد اللطيف مواصلا حديثه عن هذه

البلية وعن هذا الجسم الغريب على الدعوة وأهلها: «وقد أظهر الفارسيان المذكوران التوبة والندم، وزعما أن الحق ظهر لهما. ثم لحقا بالساحل -

فكشفت شبهتهم، وادحضت حجة ضاللتهم بما حضرني في المجلس. وأخبرتهم ببراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذا المعتقد والمذهب، وأنه لا يكفر إلا بما اجمع المسلمون على تكفير فاعله من

من شرع الله فهو كافر عند جميع المسلمين! ومن هذا من يحكم القوانين الوضعية بدلا من شرع الله ويرى أن ذلك جائز، ولو قال: «أن تحكيم الشريعة أفضل فهو كافرا! لكونه «استحل» ما حرم الله! اما

من حكم بغير ما أنزل الله اتباعا للهوى أو لرشوة أو لعداوة بينه وبين المحكوم عليه، أو لأسباب أخرى، وهو يعلم أنه عاص لله بذلك، وإن الواجب عليه تحكيم شرع الله، فهذا يعتبر

من أهل المعاصي والكبائر ويعتبر قد أتى كفرا أصغر وظلما أصغر وفسقا أصغر، كما جاء هذا المعنى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وعن طاووس وجماعة من السلف

الصالح وهو المعروف عند أهل العلم، والله ولي التوفيق، أهـ. (عن مجموع فتاوى ومقالات متنوعة).

وسئل - رحمه الله - ما حكم سن القوانين الوضعية؟ وهل يجوز العمل بها؟ وهل يكفر الحاكم بسنة لهذه القوانين؟

الجواب: إذا كان القانون يوافق الشرع فلا بأس، إذا سن قانونا في شأن الطريق في شأن الشوارع، في غير ذلك من الأشياء التي تنفع الناس، وليس فيها مخالفة للشرع، ولكن للتنفيذ الأمور فلا بأس بها.

أما القوانين التي تخالف الشرع فلا، إذا سن قانونا معناه أنه لا حد على الزاني، ولا حد على السارق، ولا حد على شارب الخمر، فهذا باطل، وهذه القوانين باطلة، وإذا استحلها

الوالي كفى إذا قال: أنها حلال ولا بأس بها، فهذا يكون كفرا من استحل ما حرم الله كفر أهـ. (مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري، عبد الله الرفاعي).

وفي جواب في موضع آخر فصل - رحمه الله - في القوانين وتدريسها، وقال: ومن يدرس القوانين، أو يتولى تدريسها ليحكم بها، أو ليعين غيره على ذلك، مع إيمانه بتحريم

الحكم بغير ما أنزل الله، ولكن حمله الهوى، أوجب المال على ذلك، فأصحاب هذا القسم لا شك فساق وفيهم كفر وظلم وفسق، لكنه كفر أصغر، وظلم أصغر وفسق أصغر، ولا يخرجون

به من دائرة الإسلام، وهذا القول هو معروف بين أهل العلم.. ومن يدرس القوانين أو يتولى تدريسها مستحلا للحكم بها، سواء اعتقد أن

الشريعة أفضل، أم لم يعتقد ذلك، فهذا القسم كافر باجماع المسلمين كفرا أكبر، لأنه باستحلاله الحكم بالقوانين الوضعية، المخالفة لشرعية الله، يكون مستحلا لما علم

من الدين بالضرورة أنه محرم، فيكون في حكم من استحل الزنا والخمر ونحوهما، ولأنه بهذا الاستحلال يكون قد كذب الله ورسوله وعاند الكتاب والسنة، وقد أجمع علماء

الإسلام على كفر من استحل ما حرمه الله، أو حرم ما أحله الله مم هو معلوم من الدين بالضرورة، أهـ. (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: ٢٢٦/٢، ٢٢٠).

فالمميزان في التصديق بين الأحكام واضح كالشمس، بين المستحل للقوانين من «عقيدة» وبين من يستحلها عملا، وهو يعلم أنها منكرة، وتخالف شرع الإسلام ولا يساويها أو يجوزها بالشريعة الخ.

\* رئيس تحرير المجلة السلفية

في مسائل من هذا الباب، كالكلام في الموالاة والمعاداة، والمصالحة والمكاثبات، وبذل الأموال والهدايا، ونحو ذلك من مقالة أهل الشرك والضلالات، والحكم بغير ما أنزل الله

عند البوادي ونحوهم من الجفاة، ثم قال الشيخ عن هذه القضايا الكبيرة، الواجب أن «لا يتكلم فيها إلا العلماء

من ذوي الألباب، ومن رزق الفهم عن الله وأوتي الحكمة وفصل الخطاب، اه فهذا هو المثل الأول، ثم نسمع أحدا

من أصحاب تلك الأقلام المصنوعة يذكره. فهم إنما يرددون كلام الأعداء القديم، دون تحرير أو انصاف «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون».

ب - «الاخوان» في عهد الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله تعالى - ظهر منهم انحرافات في مسائل التكفير والتفسيق والتبديع والهجر، ونسبوا

ذلك إلى كتابات للشيخ محمد بن عبد الوهاب، فانصب العلماء آنذاك إلى الرد عليهم، وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منهم ومن دعواهم.

من هؤلاء العلماء الشيخ سليمان بن سحمان في عدة مؤلفات من أبرزها: «منهاج أهل الحق والاتباع في

مخالفة أهل الجهل والابتداء»، وهو كتاب حافل بتقرير ما نحن فيه من نماذج ما ذكره في شأن بعض أهل

البدائية الذين جاءهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهم لا يعرفون شيئا عن الإسلام حتى اسمه، فدعاهم وعلمهم وبين لهم أن ما هم فيه من قبل كفر. فقام «الاخوان» وأخذوا

كلام الشيخ محمد في هؤلاء قبل إسلامهم وجعلوه في البدائية الذين هم من المسلمين على عهد الملك عبدالعزيز. فيقول الشيخ ابن

سحمان: «ان كلام الشيخ الذي تقرؤونه على الناس في قوم كفار ليس معهم من الاسلام شيء، وذلك قبل ان يدخلوا في الاسلام،

ويلتزموا شرائع.. واما بعد دخولهم في الاسلام فلا يقول ذلك فيهم إلا من هو أضل من حمار أهله، وأقلهم ديناً وورعاً، ومقاتلته هذه أخبث من

مقالة الخوارج الذين يكفرون بالذنوب وهؤلاء - أي الاخوان - يكفرونهم بمحض الاسلام، اه.

فهذه جماعات سائلة وضعت كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غير موضعه، وقام علماء الدعوة في

مراحل زمنية متفاوتة بالرد عليهم، وبيان ضلالهم في فهم كلام الشيخ، وكذبهم عليه، فهل يبقى بعد ذلك أدنى شبهة في براءة الشيخ منهم، ومباينته لهم، فلم هذه المخادعة -

أيها الكتاب - أهذا حق العلماء عندكم؟ أهذا حق الأمانة عندكم؟ أهذا جزء الفضل؟ اللهم اهدهم إلى سواء السبيل.

الذي

من لم

أفرون

السلف

ير أو

عكومة

ومات،

ه فيما

الله -

قرره

م ابن

لى -

بغير

غل لا

آخر

ي بما

ل من

يجب

لشرع،

عليه

ريعة

ماء،

مها

سم،

انها

حكم

نقرآن

ة، من

م.

وى، او

رسوله،

ب عليه

الكفر

نعصية

عباس

ارتكب

مفسقا

بتا قول

وجموع

م الذين

نا قلنا:

تعالى -

ثك هم

اقسام،

ما لهم،

أحسن